﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾

[الشّعراء: 213 - 216]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

التَّخلِيَةُ قبلَ التَّحلِيَة، وإقامةُ الحُجَّة بعدَ دفعِ الشُّبهة

بعد أن نفتِ الآياتُ السّابقةُ ما زعمَه المشركون في حقِّ الرّسول ﷺ وفي حقّ الرّسالة، وأثبتت الآياتُ التي قبلها أنَّ القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشّعراء: 193]، ناسب في هذه الآيات بيانُ وظيفةِ الرّسول ﷺ في تبليغ الرّسالة؛ فبعدَ دفعِ الاتّهام يُثبِت الحقَّ ويُظهِر الصِّدقَ، وتكون وظيفةُ الدَّعوةِ والهداية واضحةً، وهذا من باب التَّخلية قبلَ التَّحلية، فلا تقوم الحُجَّة مع وجود الشّبهة، ولا يثبت الحَقُّ في النُّفوس إذا تلجلَج الباطلُ فيها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾: (خفض) أصلٌ يدلُّ على الانْحِطاط بعدَ العُلوِّ[1]، فالخفضُ ضِدّ الرّفع، والتَّخفيضُ: مَدُّكَ رأسَ البَعير إلى الأَرْض لتركَبَهُ؛ والخَفْضُ أيضًا: الدَّعَة والسّير اللّيّن[2]، والعربُ تَقولُ: فلانٌ خافِضُ الجناحِ، وخافِضُ الطَّيْرِ، إذا كانَ وقورًا ساكِنًا[3]؛ وخَفْضُ الجَناحِ تَمثيلٌ لِلرِّفْقِ والتَّواضُعِ بِحالِ الطّائِرِ، إذا أَرادَ أَنْ ينحطَّ للوقوع خفضَ جَناحَهُ يُريدُ الدُّنوَّ، وكذلكَ يَصْنَعُ إذا لاعَبَ أُنثاهُ، فهو راكنٌ إلى المُسالَمَةِ والرِّفْقِ، أَوِ الَّذي يَتَهَيَّأُ لِحَضْنِ فِراخِهِ[4]، وخفضُ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خفض).
(2) الرّاغب، المفردات: (خفض).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خفض).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 83.

الجَناح في قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ مرادٌ به الدّعَةُ والسّيرُ اللّين.

2) ﴿جَنَاحَكَ﴾: (جنح) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على المَيْلِ والعُدْوانِ، يُقالُ: جَنَحَ إلى كذا، أَي: مالَ إليه، وسُمّيَ الجَناحانِ جَناحَيْنِ لِمَيلِهما في الشِّقَّيْن، والجُناحُ: الإثْمُ، سُمّيَ بِذَلِكَ لِمَيْلِه عَنْ طَريقِ الحَقِّ[1]، وجَناحا الطّائِرِ: يَداهُ؛ وجَناحُ الإنسان: يَدُه، وفي التَّنْزيلِ: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، أَي: أَلِنْ لَهُما جانِبَكَ[2]، والمقصود بالجناح في قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ التَّواضُعُ واللّينُ في المُعاملةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنـذارُ النّـاس ولـينُ الجانب للمؤمنين قائمٌ على التَّوحيد

تُخاطبُ الآياتُ الكريماتُ رسولَ الله ﷺ بأنّ لا يدعوَ معَ الله إلهًا آخر؛ ليكونَ أصلُ التّوحيد في هذه الأُمّة؛ وتأمرُه بإنذار عشيرته الأقربين، وتحذيرهم منَ الكُفر والشّرك؛ وتَحُثّه على لين الجانب للمؤمنين؛ ليقعَ التّمايزُ بين مَن آمن ومَن كَفَر؛ وتضع ضابطًا للمؤمنين في الاستمرار على الطّاعة وتَركِ المعصية كليًّا.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ فاءِ ﴿فَلَا﴾ ومعناها:

الـفاءُ فصيحةٌ تدلُّ على وجوب التَّوحيد بناءً عـلى صـدق القرآن

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ هي الفصيحةُ، أي: أنّها أفصحت عن شرط مُقدَّر، والتّقدير: (إذا كان القرآنُ هو الحَقّ، وهو يدعو إلى التّوحيد، فلا تدعُ معَ الله إلهًا آخر)[3]، فالفاء وما دخلت عليه حقّقت معنى الإقناع، الذي يجعل الإنسانَ يخصّ اللّهَ وحْدَه بالعبادة، بعد أن تبيّن صدقُ القرآن، وأنّه يدعو إلى عبادة الله ونبذِ الشّرك والأوثان.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنح).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (جنح).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 131، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5416.

غرَضُ النّهيِ بـ(لا) وبلاغتُه:

النّهيُ في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ خوطِبَ به النّبيُّ ﷺ، مع استحالةِ تصوُّر صدورِ المنهيّ عنه ﷺ، فكان غرضُ النّهي هو التّحريكُ والتّهييجُ لازدياد الإخلاص والتّقوى[1]، لأنَّه لا يُتَصوَّر منَ النّبيِّ ﷺ مخالفةُ النَّهي حتّى يُنهى عنه، وفيه لطفٌ لسائرِ المكلَّفين، ببيانِ أنَّ الإشراكَ منَ القُبح والسّوء بحيثُ يُنهى عنه من لا يمكنُ صدورُه عنه، فكيف بمَن عداهُ؟![2].

النَّهيُ لإلهاب المُخاطَب وإيقاظِ المكلَّفين

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿تَدۡعُ﴾:

اختار النّظمُ الكريم فِعلَ الدّعاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، دون أن يُقال: (فلا تَعبُدْ إلهًا آخر)؛ وذلك أنَّ الدّعاء أخصُّ منَ العبادة، فإذا نَهى عن دعاء غير الله تعالى، فمن باب أولى يَنهَى عن عبادة غير الله تعالى، وغالبُ ما يقع فيه النّاسُ في أمر الشّرك ابتداءً: هو دعاءُ غيرِ الله تعالى بالطّلب والمسألة؛ فلمّا نَهى عمّا يكون فيه الابتداءُ نَهى عمّا يكون بعدَه من باب أولى، فيكون النَّهيُ عنِ الدّعاء أبلغَ منَ النّهي عنِ العبادة، وهو الأنسب بمقام المُخاطَب ﷺ.

النَّهيُ عنِ الدّعاء يستلزم النَّهيَ عنِ العبادة

بلاغةُ خطابِ المُفرَد بـ﴿تَدۡعُ﴾:

الخطاب في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وإن كان للمُفرد في ظاهر الأمر، حيثُ خوطِب به النّبيُّ ﷺ، إلّا أنّه يُراد به كلُّ مَن يَبلُغه الخطابُ[3]؛ لأنّه يستحيل أن يقعَ المنهيُّ عنه منَ المعصوم ﷺ، فلزِمَ أن يوَجَّه إلى جميع المأمورين بالعبادة، وكلِّ مَن يبلغه الخطابُ، وهذا فيه توسيعٌ للمعنى، وفيه النّهيُ لغير النّبيّ ﷺ بطريق الأولى.

تعميم الخطابِ أولى مِن تخصيصه

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 339.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 267، والشّهاب الخفاجيّ، كفاية الراضي وعناية القاضي: 7/ 27.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 200.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾:

من أشنع وأبشع الموبقات أن تتّخذ معَ الله نِدًّا

في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قُدِّم شِبهُ الجملة ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ على المفعول ﴿إِلَٰهًا﴾، وهذا التّقديم فيه استبشاعٌ شديدٌ، وتشنيعٌ عظيمٌ على مَن يتّخذ إلهًا معَ الله؛ فحينَ يكون لفظُ الجلالةِ أوَّلَ طارِقٍ للذّهن، تتبدّد معه جميعُ الآلهة، ويكونُ هو سبحانه مِلءَ النّفس والعقل والقلب، وفي تأخير لفظ ﴿إِلَٰهًا﴾ إشارةٌ إلى وجوب عدمِ وجودِه واتّخاذِه معبودًا.

بلاغةُ ذِكْر عنوانِ الأُلوهيَّة دونَ الرّبوبيَّة:

لفظُ الجلالة أدلّ على وصف العبادة، ولفظُ الرّبّ أدلّ على معاني التّربية

لمّا كان السّياق نهيًا عن أن يُتّخذ معَ الله إلهًا يُعبد، كان لفظُ الأُلوهيّة في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ هو الأنسبُ من لفظ الرّبوبيّة؛ لأنَّ لفظ الرّبوبيَّة مأخوذٌ منَ التّربية، وهو إنشاء الشّيء حالًا فحالًا إلى حَدّ التّمام؛ والرّبُّ هو المُدَبِّرُ الخالِقُ المالِك، المُتكفّلُ بمصلحة الموجودات[1]، فلمّا كان وصفُ الله دالًّا على التّعبّد دونَ لفظِ الرّبّ، كان أنسبَ للسّياق؛ لأنَّ السّياق نهيٌ عن عبادة غير الله تعالى.

غرضُ الوصف بلفظ ﴿ءَاخَرَ﴾:

التّأكيد على وحدانيّة الله تعالى، ودفعُ الاستثناءِ لأيِّ معبودٍ

غرضُ وصف ﴿إِلَٰهًا﴾ بـ﴿ءَاخَرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ التّأكيدُ على عدم اتِّخاذ إلهًا مع الله تعالى، فظاهرُ التّعبير يوحي بالاكتفاء بالموصوف، دونَ ذِكْر الصّفة ﴿ءَاخَرَ﴾، لكنّه لا يحمل منَ المبالغة في النّهي وتأكيدِه مثل دخولِ الصّفة، ثمّ إنّ لفظ ﴿ءَاخَرَ﴾ يُشعر بأنَّ الله هو الأوّل الذي ليس معه آخَر، وفيه استغراقٌ لكلِّ إلهٍ يُعبد من دون الله تعالى، ووصفُه بأنَّه آخر، فلا يقع الاستثناءُ على أيِّ معبودٍ من دون الله تعالى.

(1) الرّاغب، المفردات: (ربّ).

نوعُ فاءِ ﴿فَتَكُونَ﴾ ومعناها:

الشّـركُ بالله مَجلَبةٌ للعذاب الأُخرويّ

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ سببيّةٌ، أي: فتكونَ بسبب ذلك منَ المعذَّبين، ولذا نُصب الفعل ﴿فَتَكُونَ﴾ بعدَها، والنَّهيُ موجَّهٌ إلى النّبيّ ﷺ؛ ليَقتديَ به غيرُه، وليَعلمَ كلُّ إنسان أنَّ العذاب لاحِقٌ بمَن يَعبُد معَ الله إلهًا آخر[1].

بلاغةُ ذِكْر فعلِ الكون:

الاسميّة أقوى منَ الفعليّة في إثبات المعنى

آثَرَ النّظمُ الكريم ذكرَ فعلِ الكون في قول الله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾، دون أن يقال: (فلا تدْعُ معَ الله إلهًا آخرَ فتُعذَّبَ)؛ وذلك ليُهيِّئَ اسميّةَ التّعبير بعدَها ﴿مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾، ولا شَكّ أنّ التّعبير بالاسميّة أقوى في ثبوت معنى التّعذيب منَ التّعبير بالفعل، وأدلُّ على لزوم العذابِ للمُشْرِك، وهذا تخويفٌ ما بعدَه تخويف؛ ولأنَّ فعلَ الكونِ أَدْخَلَ المُشرِكَ في جملة المُعذَّبين الذين هم أرسخُ النّاس قَدَمًا في العذاب؛ فهو يَدخُل في جملة المُستحقّين لهذا العذاب.

معنى حرف ﴿مِنَ﴾:

بيانُ حالِ مَن وقع في حمأة الإشراك ومآلِه

حرفُ ﴿مِنَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ للبيان؛ فهو يُبيّن حالَ مَن وقع في حمأة الإشراك ومآلِه، بأنَّه منخَرِطٌ في سِلك المُعذَّبين.

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾:

التّعذيب وعيدٌ بالعاجل تلويحًا، وبالآجِل تصريحًا

استعمل النّظمُ الكريم مفردةَ ﴿ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ دونَ مرادفاتها من مثل: (المُهْلَكين)؛ لأنَّ التّعذيب هو الذي يتناسب مع سياق التّخويف، بخلاف الإهلاك، وذلك أنَّ الإهلاك وعيدٌ بالعاجل، والتَّعذيبَ وعيدٌ بالآجِل صراحةً، وبالعاجل تلويحًا؛ ووعيدُ الآجِلِ والعاجِل أعظمُ وأشدُّ من وعيد العاجل.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5416.

بلاغةُ التّعريض في الآية:

وعيدُ المُخاطَب بما هو منه بَريءٌ وعيدٌ مقصودٌ لمَن وقع فيه

في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ تعريضٌ بالمُشركين بأنَّهم سيُعذَّبون[1]؛ ذلك أنَّ ما جاء النَّهي عنه من دعاء غير الله تعالى الذي يترتّب عليه التّعذيب واقعٌ فيه المشركون، وبلاغةُ التَّعريض تكمُن في الإشارة إلى شِدَّة العذاب، وعِظَم العقاب الذي سينال مَن يدعو من دون الله تعالى؛ لأنَّه إذا خوطِب النّبيّ ﷺ بهذا الوعيد - وحاشاه أن يقع فيما يُتَوَعّد عليه - فإنّ الوعيد بالمشركين أولى.

نوعُ واوِ ﴿وَأَنذِرۡ﴾ ودلالتُها:

الأقـربـون أولى النّاس بالدّعوة، ولا تُغنيهم قرابتُهم من الوعيد شيئًا

الواوُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ عَطفت الجملةَ على قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾[2]، ودلالةُ هذا العطف: أنّه خَصّص إنذارَ العشيرة بعدَ التّعميم في قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾، والغرضُ من هذا التّخصيص: هو الاهتمامُ بهذا الخاصّ، ووجهُ الاهتمام: أنّ عشيرته أولى النّاس بقَبول نُصْحه، وتعزيزِ جانبِه؛ ولئلّا يسبقَ إلى أذهانهم أنَّ ما يُلقيه الرّسول مِنَ الغِلْظة في الإنذار وأهوالِ الوعيد لا يقع عليهم، لأنَّهم قرابةُ هذا المُنذِر وخاصَّتُه[3].

مناسبةُ اختيارِ فعلِ الإنذار:

مقاماتُ التّبليغ تقتضي التّحذيرَ والتّخويف

اختار النّظمُ الحكيمُ الفعلَ (أنذر) في قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ دون مرادفاته من مثل: (ادعُ) - والمقام مقام دعوة - ؛ لما في الإنذار من معنى التّخويف والتّحذير، الذي يتناسب مع إنذار النّبيّ ﷺ قومَه، فدلالةُ الإنذار: الإعْلام بالشَّيْء الَّذي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 200.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 201.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 201.

يُحذَر منه، وهذا يتناسب مع قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾؛ فكونه منَ المُنذِرين يقتضي أن يُنذِر عشيرتَه الأقربين، ومع قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ تلويحًا بالعذاب إن لم يستجيبوا، وهذه مناسبة لفظيَّة دلاليّة في أمر الإنذار، وقد قال ﷺ: «فإنّي نذيرٌ لكم بين يديّ عذابٍ شديد»[1]؛ فالإنذارُ في البيان النّبويّ على وفْق الإنذار القرآنيّ، لذا فهو أنسب لهذا السّياق منَ الفعل (ادعُ).

غرضُ صيغةِ الأمر ﴿وَأَنذِرْ﴾:

غرضُ فعلِ الأمر ﴿وَأَنذِرْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ هو الوجوب، وهو وجوبُ إنذارِ عشيرة النّبيّ ﷺ الأقربين، ودلَّ الأمرُ بالإنذار على أنَّ الرّسول مأمورٌ في معاملة عشيرته كمعاملة بقيَّةِ الخَلْق.

وجـوبُ إنـذارِ عـشيرة الـنّـبـيّ ﷺ الأقربين

غرضُ اختيارِ لفظِ العشيرة:

لفظُ العشيرةِ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أنسبُ للسّياق من لفظ القوم؛ فمَقامُ دعوةِ النّبيّ ﷺ قومَه يحتاج إلى العشيرة، لأنَّ العَشيرَة تعني: أهلَ الرَّجُل الذين يتكثَّر بهم، بخلاف القوم، فقد لا يكون بينَ الرّجل وقومِه صلةُ قرابةٍ؛ لذا كان الرّسول ﷺ محتاجًا في بداية دعوته إلى مَن يُؤيِّده وينصرُه ويَشُدّ أزرَه، فالعشيرةُ إذا صدّقوه كانوا عونًا له وسندًا في نشر دعوته، وتبليغِ رسالته؛ فهم الذين يتكثَّر بهم، ومَن كانوا كذلك كانوا أولى النّاس بالدّعوة والإنذار.

أولـى الـنّـاسِ بالدّاعي عشيرتُه القريبةُ منه

فائدةُ إضافةِ العشيرة إلى الضّمير:

أضاف النّظمُ الكريم لفظَ العشيرة إلى ضمير النّبيّ ﷺ في قول

دعـوةُ الأقـارب تقتضي تمحيضَ النُّصح لهم

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (208).

اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ودلالةُ تلك الإضافة تحفيزُ النّبيِّ ﷺ وتحضيضُه على الاجتهاد في الدّعوة، والإخلاص فيها، وتمحيضِ النُّصح لعشيرته؛ لأنَّه منهم، وهم منه، فيتحقّق التّأثير المقصود منَ الدّعوة.

غرضُ الوصفِ بلفظ ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾:

دعـوةُ الأقـاربِ مجلَبةٌ للأباعد

وُصِف لفظُ ﴿عَشِيرَتَكَ﴾ بـ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، والعشيرة قريبةٌ، فهذا من باب توكيد قُرب العشيرة، واجتلابِ قلوبهم إلى إجابة ما دعاهم إليه، وفيه تعريضٌ بأهل الاعتراض والتّكذيب منهم[1]، والحُجّة إذا قامت عليهم تعدّت إلى غيرهم، وإلّا كانوا علّةً للأبعدين في الامتناع، وألّا يأخذَهم ما يأخذ القريبَ منَ العطف والرّأفة بقريبه؛ فوجبَ على النّبيّ ﷺ أن يُحابيَ أقاربَه في الدّعوة[2].

دلالةُ صيغةِ الأقرب:

البَـدْءُ بـدعـوةِ الأقـارب أنجـعُ للدَّعوة وأنجح

(الأقرب) في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ على زِنَة (أَفْعَل)، وقد جاء مقترنًا بالألف واللّام؛ وليس المرادُ بالصيغة التَّفضيلَ، بل معناه الصّفة، أي: العشيرة الموصوفة بالقُربى، ودلالة هذه الصّيغة: الإشارةُ إلى أنَّ "الاهتمامَ بشأن الأقربين أهمّ، فالبداية بهم في الإنذار أولى"[3].

بلاغةُ التّعريض في الآية:

التّـعـريـض كـاشـفٌ عـن حقائق المعرَّض بـهـم، وفـاضـحٌ لأحوالهم

في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ تعريضٌ بأقارب النّبيّ ﷺ[4]، الذين لم يَرْعَوا حَقَّ القرابة، التي كانت توجب عليهم حُسنَ الطّواعيَة والاقتداءَ بسيِّد الخَلْق، الذي أمره مولاه بحُسْن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 202.
(2) ابن حجر العسقلانيّ، فتح الباري: 8/ 503.
(3) الخلوتيّ، روح البيان: 6/ 311.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 201.

إنذارِهم ورعايتهم، باعتبارهم العشيرة الأقرب؛ لكنَّ الإيذاءَ جاء من أقربِ النّاس إليه، ممَّن يُظنُّ منه الارعواءُ والاقتداء.

نوعُ واوِ ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾ ودلالتُها:

التّناسُب بينَ الجُمَل يقتضي الوصلَ

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عاطفةٌ، حيثُ عَطفت هذه الجملة على جملة ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، وهما جملتان إنشائيّتان، وصَلَتْهما الواوُ؛ لما بينهما منَ التّوسُّط بينَ الكمالَين؛ فهما متّفقتان في الإنشائيّة لفظًا ومعنًى، وبينَ الإنذار المليء بالتَّرهيب، والخَفضِ المليء بالتَّرغيب، مفارقةٌ لا تخفى، فناسبَ الوصلُ، وحسُنَ التّقابُلُ بينَ الأمر بالإنذار، والأمرِ بخفض الجَناح.

غرَض الأمر ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾:

تواضعُ الدّاعي يفتح منافِذَ القلوبِ

الأمر بخفض الجناح في قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ للنُّصح والتّوجيه والإرشاد؛ فالله سبحانه وتعالى يوجِّه النّبيَّ ﷺ إلى إلانة الجانب، والاتّسام بالتّواضع معَ مَنِ اتّبعَهُ منَ المؤمنين، لتجدَ دعوتُه سبيلًا إلى نفوسهم، وفيه معنى الإلزام والإيجاب، لا سيَّما بعد الأمر بإنذار العشيرة.

براعةُ المجاز في تجسيد الأخلاق:

كثرةُ احتمالات التّوجيه البيانيّ أمارةُ الثَّراء، وبرهانُ البَراعة

لمكانة التّواضع ولينِ الجانبِ في شخص القائد المُربّي، آثَرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ خفضِ الجناح في قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، من أجل تجسيد هذه الصّفات العظيمة، وهو إمّا أن يكون كنايةً عن صفة التّواضع، وإمّا أن يكون استعارةً تمثيليّة، حيثُ شبَّه فيها الحاني العطوفَ على مَن معه مِنَ المؤمنين بالطّائرِ الذي يَخفِض جناحَه، ويحوطُ به فِراخَه، حتّى ينضجوا ويستغنوا عن كلاءَتِه وحمايتِه[1]، وهو تشبيهُ هيئةٍ بهيئة،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5417.

فشَبَّه هيئةَ المتواضعِ بهيئة الطّائر؛ ذلك أنّ الطّائر إذا أراد أن ينحطّ للوقوع، كسَر جناحَه وخفضَه، وإذا أراد أن ينهض للطّيران رفعَ جناحَه، فجعلَ خفضَ جناحِه عندَ الانحطاط مثلًا في التّواضع ولينِ الجانب[1]؛ أو أن يكون مجازًا مرسلًا علاقتُه اللّزوم[2].

نُكْتَةُ دخولِ اللّامِ على الاسمِ الموصول ﴿لِمَنِ﴾:

الاتّـباعُ مِهمازُ الـــرِّفـــق، والإعراضُ صَوتُ الفِسق

اللّامُ الدّاخلةُ على (مَن) في قول الله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لامُ التّعديَة، تَعدّت إلى اسم الموصول (من)، ولم يأتِ النَّظمُ بالاسم الصّريح، كأن يُقال: (واخفض جناحك للمؤمنين)؛ وذلك لإظهار أمرِ الاتّباع، الذي هو صلة الموصول ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾؛ لأنَّه لكلِّ موصولٍ صلةٌ توضِّحُه وتُزيلُ الإبهامَ عنه، فأتباعُ النَّبيِّ ﷺ منَ المؤمنين هم المقصودون بتواضع النّبيّ لهم، فكان ذِكْر الاتّباعِ بمثابة التَّعليل للتّواضع، أي: لأنَّهم اتَّبعوك فتَواضَعْ لهم، ولأنَّ غيرَهم عصاكَ فأنذِرْهُ؛ وهذا من بديع التَّعليل البيانيِّ في القرآنِ الكريم.

بلاغةُ اختيارِ فِعلِ الاتِّباع:

مَن حقَّق الاتِّباع فقد أحرزَ حقيقةَ الامتثال

آثَرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ فِعلِ الاتّباع في قول الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ دون مرادفاته، كالطّاعة أو الإيمان، مع أنَّهما أعمُّ؛ وذلك لأنَّ لفظَ الاتّباع هو الأنسب بالسّياق، إذ فيه معانٍ يقتضيها المقامُ، فهو يدلُّ على الإيمان ابتداءً، فلا يتّبِعُ إلّا المؤمنُ؛ ويدلُّ على الطّاعة، بل هو دليلُ الطّاعة؛ لأنَّ الاتِّباع درجةٌ أخصُّ من عموم الطّاعة، والاتّباعُ يومِئ إلى وحْدة الاتّباع ووحدة الانقياد، فالمؤمنُ إنَّما يتَّبع رسولَه وهو في تمام العقل وكاملِ المَحبّة القلبيّة، فمَن حقَّق الاتّباعَ فقد حقَّق الامتثال.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 340، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 4/ 586.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 133.

بلاغةُ استعمالِ ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾ دون (تَبِعَكَ):

الاتّـبـاع تكلّفٌ ومـجـاهـدةٌ، والتّبعُ خضوعٌ بلا تعمّل

يُلمَح أنّ الفعل (اتّبع) من قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فيه معنى الافتعال، وزيادةُ المبنى تدلّ على زيادة المعنى في الغالب، فهي تدلّ في الآية على التّعمُّل والتّكلّف والمجاهدة لدى القوم الذين لم تنصع قلوبُهم ابتداءً إلى الدّاعي ﷺ، فكان استعمالُها في السّياق أنسبَ، ويجوز أن يكون في صيغة الافتعال الدّالّةِ على التّكلُّفِ إشارةٌ إلى العقَبات التي واجهَها المؤمنون الأوّلون، أتباعُ النّبيّ ﷺ، وما تحمّلوه منَ العداوة والاضطهاد والتّعذيب في سبيل إيمانهم، فوَصْفُ تبعيّتِهم للنّبيّ ﷺ بصيغة الافتعال ثناءٌ عليهم، بالتّلميح إلى اجتهادهم واصطبارهم، وحَثٌّ للمتبوع بزيادة الاعتناء بهم، وخفضِ الجَناح لهم.

معنى حرف ﴿مِنَ﴾ ودلالتُه:

احتمالُ البيانِ والتّبعيض بحسب توجيه المُرَاد منَ المؤمنين

حرفُ ﴿مِنَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يجوز أن يكون بيانيًّا لعبارة ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾، والمراد به المتابعةُ في الدّين، وهو الإيمانُ، والغرضُ من هذا البيان: التّنويه بشأن الإيمان، كأنَّه قيل: واخفض جناحَك لهم؛ لأجل إيمانِهم[1]، ويجوز أن يكون تبعيضيًّا، على أنَّ المُراد مِنَ المُؤمنينَ المشارفون للإيمان، أو المصدّقون باللّسان[2]، وعلى هذا يكون في التّعبير مجازٌ مُرسل، حيثُ سمّاهم مؤمنين باعتبار ما سيؤلون إليه، ويكون المعنى: تواضَع لهؤلاء استمالةً وتأليفًا، أو يُراد بالمؤمنين الذين قالوا: آمنا، وهم صنفان: صنفٌ صدَّق واتّبع، وصنفٌ صدَّق فحَسْبُ؛ فقيل: ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وأُريد البعضُ الذين صدّقوا واتّبعوا، أي: تواضع لهم محبّةً ومودّةً، أوِ اخفضْ جناحَك لبعض المؤمنين، وهم الذين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 203.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 151.

اتّبعوك، ومن ثَمّ فصَلَهم، كأنّه قيل: "فإنِ اتّبعوكَ وأطاعوكَ فاخفض لهم جناحَكَ، فإن عصوكَ ولم يتّبعوكَ فتبرّأ منهم"[1].

نُكْتَةُ اختيارِ لفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دونَ (المسلمين):

الاتِّباعُ والإيمانُ اجتماعٌ لعمل القلب والأبدان

آثَرَ النّظمُ الكريم استعمالَ لفظِ الإيمان دونَ الإسلام، في قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ وذلك أنَّ لفظ الاتّباع دلَّ على العمل، وجاء بيانُ المُتّبعين بأنّهم مؤمنون؛ لبيان علَّة الاتِّباع، فجمعَ النَّظمُ الكريم بينَ اللّفظ الدّالّ على الإيمان الذي حرَّكهم، وعلى الاتِّباع الذي هو بمثابة البُرهان؛ وأيضًا ليكونَ الإيمانُ هو العنوانَ الأوضحَ في مقابل من كفر وجَحد.

بلاغةُ العدولِ إلى لفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

بيانُ علَّة الإكرامِ أصلٌ في بيانِ المعاني

آثَرَ النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دونَ أن يُقال: (لمن اتّبعك منهم)؛ مُريدًا عشيرتَه، وهذا هو الظّاهر؛ فعدلَ إلى ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليَعُمّ ويُؤذِنَ أنّ صفةَ الإيمان هي التي يَستحِقّ أن يُكرَم صاحبُها، ويُتواضَعَ لأجلها، سواء كان مَنِ اتّصف بها مِنَ عشيرتك أم من غيرهم[2]، ولو أتى بالضّمير العائد إلى قوله: ﴿عَشِيرَتَكَ﴾ لكان فيه لونٌ من ألوان الخصوص، والنَّظمُ يريد أن يطويَ صفحةَ ذِكْر عشيرته؛ للانتقال إلى عموم المؤمنين الذين آمنوا وصدّقوا واتّبعوا.

نوعُ فاءِ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ ومعناها:

الكفرُ والإيمانُ يطرأ عليهما التّغيُّرُ والتّبديلُ، والأمرُ بيد العزيز الحميد

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ إمّا أن تكون تفريعًا على جملة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، أي: فإن عصوا أمرَكَ المُستفادَ منَ الأمر بالإنذار، فما عليكَ إلّا أن تتبرّأ من عملهم[3]، وإمّا أن تكون الفاء فصيحةً، والضّمير في ﴿عَصَوْكَ﴾ يعود إلى ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، أو إلى ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ ويُؤيّد عَودَه على المؤمنين

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 433.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 433.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 203.

أنّه أقربُ مذكورٍ، وأنّ خفضَ الجناح لهم مشروطٌ بأنّهم مؤمنون لا يعصونَكَ، فإن عصوكَ أيّها الرّسولُ فتبرّأ منهم[1]، والصّحيح أنَّ احتمالَ عودِ الضَّمير في ﴿عَصَوْكَ﴾ على الجميع هو الأولى، أي: إن عصوكَ في إنذارك، أو إن عصوكَ بعدَ اتّباعِك؛ وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الإنسان لا يأمَن على نفسه، ففيها تهييجٌ للمؤمنين؛ كما أنّ فيها توجيهَ الاتِّكال على العزيز الحميد، فإنَّ الأمر كلَّه بيد الله تعالى.

فائدةُ استعمالِ (إن) دونَ (إذا):

الفألُ الحَسَنُ رُكنٌ من أركان الدَّعوة وأصلٌ في الدَّوام

في قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ آثَرَ النّظمُ استعمالَ أداةِ الشّرط (إن)، التي تُفيد عدمَ قطعيَّة الوقوع، دونَ (إذا) المقطوعِ بوقوع فعلِ الشّرط معها، وغرضُ هذا الإيثار: انعقادُ قلبِ النّبيّ ﷺ على مَظنّة الخير فيهم؛ ولو قال: (فإذا عصوكَ)، لأفاد أنّ المعصية متحقّقةٌ، وهو ما يدفع الأملَ والفألَ الحَسنَ في دعوتهم، فكان اختيارُ (إن) هو مقتضى الحِكمة، ويجوز أن يكون استعمالُ (إن) للإشارة إلى أنّ عصيان القوم للنّبيّ ﷺ كان ينبغي ألّا يقع، ويكونَ في حيِّز العدم، بحيثُ لا يوجد أصلًا، تبعًا لعدم تحقُّق فعلِ الشّرط مع (إن)، فكان الأوجبُ عدمَ عصيان مَن يدعوهم إلى النّجاة منَ النّار.

بلاغةُ اختيار فِعلِ العصيان:

إذا تساوى العمومُ والخصوصُ، فالعمومُ أولى؛ لاتّساعِ المعنى وإطلاق الدّلالة

استعمل النّظمُ القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لفظَ ﴿عَصَوْكَ﴾ دونَ مرادفاته؛ تفاؤلًا بعدم وقوع الشّرك، واستبعادًا له، أو للإشارة بأنّه يجب ألّا يقع، وقد يكون هذا التّعبيرُ تخفيفًا عنِ النّبيّ ﷺ، فإنَّ وقْعَ المعصيةِ ألطفُ من ذِكْر الشّرك، ففيه عدمُ مجابهةِ النّبيّ ﷺ بهذا اللّفظ الشّديد، خاصةً وأنّه في أوّل الدّعوة، التي يحتاج معها فتحَ أبوابِ الأمل في

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5417.

إيمان القوم، حتّى لا يتسلَّلَ اليأسُ إلى قلبه ﷺ، وذلك على جَعْلِ فِعْلِ المعصية خاصًّا بالمُنذَرين، واحتمالِ رَجْعِه للجميع يجعل لفظَ المعصية شاملًا لمعصية الاعتقاد، ومعصيةِ السّلوك، ومسالكُ العمومِ أولى منَ التّخصيص؛ لسَعَةِ الدّلالة، واتّساع المعنى.

نوعُ فاءِ ﴿فَقُلْ﴾ ودلالتُها:

فاء ﴿فَقُلْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ رَبطت الجوابَ بالشّرط، وهي في أصل معناها تُفيد التّعقيب، وفي هذا إشارةٌ إلى وقوع البراءة عقِبَ العصيان وقوعًا بلا مُهلة؛ دلالةً على سُرعة استجابة النّبيّ ﷺ لربّه؛ فبِمُجرَّد وقوعِ العصيان يقع قولُه: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

البراءةُ منَ العُصاة نَهجُ الأنبياء

غرضُ الأمرِ (قل):

الأمر في قول الله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ للإلزام والوجوب بأن يُسمعَهم البراءةَ منهم، خطابًا صريحًا واضحًا، وغرضُ الأمر: بيانُ المفاصَلة بينَ الحَقِّ والباطل، مع ما في الجملة منَ الإتيان بالاسميّة التي تُفيد ثبوتَ البراءة من هؤلاء العُصاة، ولو لم يُذْكَر لفظُ القولِ لتهيَّأتِ الجُملةُ للفعليّة، فيُقال مثلًا: (فإن عصوكَ فتبرّأْ)؛ فلا يكون فيها دوامُ البراءة وثبوتُها، كما في الجملة الاسميّة.

إعلانُ البراءةِ رادعةٌ عن الكُفر ومُجابِهَةٌ للباطل

بلاغةُ التّوكيدَ في ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ ودلالتُه:

جاء التّوكيد في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ بحرف (إنّ)، وجاء خبرُها اسمًا لا فعلًا، فلم يقل: (أبرَأ)؛ فاستعمل النّظمُ القرآنيُّ التّأكيدَ مرّتَين، مرّةً بأداة (إنّ)، ومرّةً بالتّعبير بالاسم ﴿بَرِيٓءٌ﴾، والتّأكيد بـ (إنّ) حقَّق معنى البراءةِ، وأثبتَها في قلب النّبيّ ﷺ ثُبوتًا لا شَكَّ فيه؛ والتّوكيد بالاسم أفاد دوامَ البراءةِ بدوام عصيانِهم، وأنّها لا تنفكُّ عنهم ما داموا عنِ العصيان غيرَ منفكّين، وهذا فيه تخويفٌ شديدٌ لهؤلاء العِصاة.

دوامُ البراءةِ قائمٌ بدوام العصيان

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿بَرِيٓءٌ﴾:

المبالغةُ في براءة النّبيّ ﷺ منَ العصاة

أتتِ الآيةُ باسم الفاعل منَ البراءة في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لإعلان البراءة منَ الذين عصَوْا رسولَ الله ﷺ، وآثَرَت هذه المفردةَ دونَ سواها لِما فيها منَ التّخلُّص والتّباعد ممّا تُكرَه مُجاورتُه[1]، فعندَ التَّصريح بالبراءةِ ينشأ عنه الإبعادُ والتّنائي بينَ المُتبرِّئ والمُتبرَّأ منه، والتّخلُّصُ من أدنى الملابسات والعلاقات بينهما.

معنى (مِن) ودلالتُها:

الكشفُ عن أعمال العُصاة وتبيين سوءِ فعلِهم

(مِن) في قوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بيانيّةٌ، تكشِف عن أعمال العصاة، وتبيّن سوءَ فعلِهم، وطَيشَ صنيعِهم، حيثُ كفروا بالله ورسوله.

نُكْتَةُ التّعبير بأداة (ما):

تعليل البراءة وكونها من عمومِ الأعمال

تحتمل (ما) في قول الله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أن تكون موصولةً، أي: بريءٌ منَ الذي تعملونه، ودلالةُ التّعبير بالموصول دونَ ذِكْر الاسم الصّريح، إذ لم يُقل: (إنّي بريء من أعمالكم)؛ للاستشهاد عليهم بما في حيِّز الصِّلة؛ لأنَّ الأعمال هي سببُ المعصية، والمعصية هي سببُ البراءة منهم، وتحتمل (ما) أن تكون مصدريَّةً، والتّقدير: (إنّي بريء من أعمالكم)، لدلالتها على العموم، ويؤيِّده استعمالُ (مِن)، وعلى الاحتمالَين يكون استشهادٌ على العصاة بأعمالهم الخارجةِ عن نطاق القَبول، وبعموم أعمالِهم، ممّا يُنبئ أنَّها أعمالٌ صدرت عن باطلٍ في الاعتقاد والسّلوك.

نُكْتَةُ التّعبير بالمضارع ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

إقامةُ الحُجَّة على المُخاطَبين

جاء التّعبيرُ بصيغة المضارع ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لإقامة الحُجَّة عليهم فيما يقومون به

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (برأ).

من أعمالٍ وقتَ البراءة منهم، فهي ليست أعمالًا سابقةً أو لاحقة، بل قائمةٌ مستمرّة.

نُكْتَةُ العدولِ عن لفظ المعصية إلى لفظ العمل:

المقامات تُنادي على الألفاظ، والمعاني متقدّمة على المباني

ممّا يقتضيه ظاهرُ قولِه تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أن يُقال: (إنّي بريءٌ ممّا تعصون)، لكنَّه قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فعدلَ عن لفظ المعصية إلى لفظ العمل؛ لإفادة عموم وشمولِ الأعمال الشّركيّة والسّلوكيّة، فكلّ ذلك ينطبق عليه لفظُ العمل، ولو ذَكر المعصيةَ لتوُهِّم أنَّ البراءة منَ المعاصي، وأنَّ لهم أعمالًا موصوفةً بالطّاعة، فكان ذِكْر لفظِ العمل نصًّا في كون الباطل المُتبرَّأ منه هو جميعُ الأعمال الصّادرة منهم؛ وهو ما ينساب مع لفظ البراءة التي تعني التَّخلّصَ من عموم أعمالِهم دونَ استثناء، فإنَّ المقاماتِ مناديةٌ على الألفاظ.

نُكْتَةُ اختيارِ لفظِ العمل دونَ لفظ الفعل:

البراءةُ تكون منَ الأعمال الصّادرة عن قصد

تتّضِحُ دِقّةُ الأسلوبِ القرآنيّ في إيثار لفظ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ دونَ استعمال (تفعلون) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ ذلك أنَّ العمل يكون مقصودًا من فاعله، فالمُرادُ هو البراءة منَ الأعمال التي كانت عن قصدٍ من فاعلها، وهو يدرك أبعادَ عملِه وسلوكِه، لا الأفعالِ التي هي عبارةٌ عن سجايا وأخلاقٍ جبلّيَّةٍ، ومِن ثَمّ، فإنّ البراءة لا تكون إلّا من الأفعال التي انعقد على فعلها القلبُ، وذهب إليها القصدُ، وتوجّهت إليه الهمّةُ.

غرضُ حذفِ متعلّق الفعل ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

ليَدْخُل كلُّ عملٍ قاموا به، ممّا عُلِم أو خَفيَ

حُذفَ متعلّق الفعل ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لتنزيله منزلةَ الفعل اللّازم، إذ هو فعلٌ متعدٍّ، يحتاج إلى معمول؛ أو للعموم، ليَدْخُلَ فيه كلُّ عملٍ قاموا به، ممّا عُلِم وممّا خَفيَ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»